كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الأول

مقياس: السينما الصامتة

المحاضرة رقم 01 بعنوان:

"ماهي السينما!"

_هل السينما وليدة تكنولوجيا أم حاجة سعى إليها الإنسان (الفنان) للكشف عن الطبيعة والواقع؟.

اعتبارا لذلك، فإن:

السينما هي فن من الفنون والذي يطلق عليها " الفن السابع " بالمفهوم العام، والذي أطلقه المنظر السينمائي الإيطالي " ريتشيوتو كانودو ".

أما اصطلاحا: فكلمة السينما "cinéma" ، فأصلها مصطلح "Kinéma" والتي تعود إلى اللغة الإغريقية القديمة والتي تعني الحركة "Le Mouvement" ، فتطور هذا المصطلح في معناه ليصبح سينما.

أما ماهية المصطلح، فالسينما تعني "فن عرض Projection" لصور متحركة وثابتة ولأصوات تقدم إلى الجمهور داخل قاعة عرض مقابل مبلغ مالي.

وكلمة السينماتوغرافي cinematographiy فتعني حرفيا "الصورة الفوتوغرافية المتحركة أي جوهر الوسيط السينمائي الذي كان ورقة الاعتماد التي قدمتها السينما لكي تكون الفن السابع من الفنون الجميلة"، بينما اختلفت المشارب في كيفية تعريف لفن السينما، فالمخرج الروسي 'سيرجي إيزنشتاين' يعرف السينما على أنها "تجميع لكل الفنون، وينحاز للخيالة وفنونها أكثر بقوله: إنه كل فن يسعى جاهدا لكي يصل الى شكل السينما الناطق الملون المجسم". فالسينما هي فن الصور المتحركة. أما الصورة السينمائية هي حقا في جوهرها حقيقة متحركة، وقد أكد المخرج الفرنسي 'جان ابشتين' على هذا التعريف قائلا: "إن الحركة تكون حقا القيمة الإجمالية الأولى للصورة على الشاشة".

أما عن المخرج الفرنسي 'لوي ديلوك' فأضفى الروح الشاعرية على الصورة بوصفها ذلك التعبير الذي يعبر عن الحقائق العاطفية عبر عناصرها المختلفة، فالسينما هي مزج ما بين الفنون التشكيلية والفنون الموسيقية الإيقاعية بمثل ما اعتبرها المخرج 'أبيل غانس' في قوله: "موسيقى الضوء من حيث المشهد" ، وفي الأصل كانت كلمة الفيلم توضع على الشريط الفيلمي، أي شريط الطويل المرن، الحامل المادي للصور السينماتوغرافية، فكلمة الفيلم تعنى كذلك مجمل الفعاليات المرتبطة بالصناعة الفيلمية.

بينما يرى المخرج الفرنسي 'جون كوكتو' أن "السينما هي "كتابة بالصور "، ويرى المخرج لويس دلوك أن "فيلما جيدا هو نظرية هندسية جيدة"، فالسينما ولأنها مبنية على الاختيار والتنظيم تستطيع التصرف كما تشاء من خلال الكيفية التي تعرض بها للمتفرج شرائح من الواقع التي تقدمها.

ولهذا، فالسينما هي:

فن المكان والزمان مجتمعين في واقع معين، وهي تصهر أشكالا متعددة من مختلف الفنون الأخرى، ولهذا سميت 'فن الفنون الممزوجة'. ولهذا أيضا لم تجد المحاولات المستمرة التي يقوم بها العلماء الجمال التعريف السينما 'الخالصة'.

وللمخرج الروسي 'أندريه تاركوفسكي' رأي آخر في ذلك، إذ يعتبر أن للسينما خصوصيتها كفن مستقل لذاته له مميزاته لا تشاركه فيها بقية الفنون، وهو وجود السرد السينمائي، ومن ثم إمكانية الصورة في توصيل الفكرة السينمائية والتواصل مع المتلقي.

أما اللغة في السينما فهي ليست إنتاجا فنيا، بل إنتاجا مصدره الطبيعة، شأنها في ذلك شأن الإنسان نفسه.

بينما يعود ميلاد السينما انطلاقا من النص الأصلي، وهذا وفقا للاستشهاد الآتي:

"La plupart des historiens du cinéma ont fixé la date de sa naissance au 28 décembre 1895, jour de la première représentation de la cinématographie des frères lumière en France, dans les sous-sols du grand café a paris".

وبالتالي، فإن الإنسان الأول (البدائي) بعفويته وفطرته يحتاج إلى محاكة الزمن وإعادة إنتاجه لأغراض سيكولوجية معينة، فكانت تكنولوجية عرض الصور المتحركة إلا تحقيقا لأفكار وأفعال نتجت عن نشاط الإنسان الأول.

وقد تعاقبت فترتين مختلفتين في تطور السينما، واتضح الأمر جليا في المراحل الأولى لظهور السينما كتقنية ومن ثم كعامل فني وجمالي، فكانت المرحلة الأولى مرتبطة بالحقب الصامتة أو ما سمي "بالفيلم الصامت" باعتباره شكلا فنيا قائما بذاته، وهذا وفقا للتأسيس التالي:

1_ يعتمد الفيلم الصامت على السرد الأدبي والروائي، بالاعتماد على وسيلتي الوصف والسرد والكشف عن أبعاد ومستويات الشخصية، بعيدا عن الحوار والصوت والمونتاج.

2_ يعتمد الفيلم الصامت على لغة الصورة، فكانت وسيلة واعية لسرد الأحداث الروائية بلغة صورية تحيل المتلقي إلى فهم مترتبات الواقع بلغة الكاميرا.

أما المرحلة الثانية، فتمثلت حيثياتها في النضوج الفني بدخول عامل الصوت معترك الفيلم السينمائي على المستوى التقني وهو ما سمي "بالفيلم الناطق"، ليكتشف بعدها المتلقي (الجمهور) ويستنبط الدلالات والمفاهيم التي غابت عليه في المرحلة الأولى، وهذا بعد تزاوج المحكم والتطابق بين الصورة والصوت، ودخول المونتاج السينمائي للكشف عن أفاق جديدة للسينما بلغة تعبيرية خالصة.

وإذا كانت السينما تجارة وتقنية، فهي كذلك نوع من اللغة، بمعنى أنها:

_ توصل المعاني من خلال نظام من الشفرات والأساليب التي يجب أن تعرف مستويات اللغة السينمائية، كاللون والمونتاج والزاوية والرؤية والعرض والتقديم مع ما تتطلبه هذه الأبعاد من تموقع معين للكاميرا في مكان ما خاص هو في حد ذاته جزء من الدلالة.

_ يصاحب الصوت الصورة، بوصفه أيضا جزءا من المضمون، كما أن المؤثرات الصوتية الخارجية تمنح الصورة خاصيات دلالية متعددة، إضافة إلى عناصر اللغة السينمائية الأخرى كالمشهد (المتتالية)، اللقطة والصورة، كل هذا ساهم إلى حد كبير في تشكيل منظومة سينمائية على المستوى الجمالي والتقني بفضل جهود ثلة التقنيين والمخترعين، وكذا المنظرين السينمائيين والمخرجين الذين أرسوا في بناء قواعد أولية هامة في حقل السينما الصامتة أو الفيلم الصامت في مراحله الأولى.

المكتبة البيبليوغرافية:

*يوري لوتمان، قضايا علم الجمال السينمائي، تر: نبيل الدبس

*مارسيل مارتن : اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، ترجمة فريد مزاوي.

*_France illustration, v°2, 1946